(١)

القرآن الكريم، وأثره في تقوية الجوانب الإيمانية وترسيخ القيم الإنسانية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، **وبعد**:

فلقد أرسل الله (عزّ وجلّ) رسوله محمدًا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ ويأخذ بيد البشرية من طريق الضلالة إلى الهدى، فأيده بالآيات ، والمعجزات الباهرات ، غير أن القرآن الكريم يبقى هو المعجزة الخالدة التي أيد الله بها نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وفي هذا يقول النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ).

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا يناله التحريف، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم، وما ذاك إلا لما تميز به القرآن الكريم من تأثير على النفس البشرية، ففي خطابه حياةٌ للقلوب، وتطهيرٌ للأرواح، وتهذيبٌ للأخلاق، وتقويمٌ للسلوك؛ ولم لا؟ وهو كلام رب العالمين ، الذي يهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة، فلا تدري أجاءك الحسن من جهة لفظه أم من جهة معناه، إذ لا تكاد الألفاظ تصل إلى الآذان حتى تكون المعاني قد وصلت إلى القلوب؛ وهو

الذي لم تلبث الجن إذ سمعته حتى قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} .

ولقد جاء القرآن الكريم ليصلح نفوسًا حادت عن الفطرة الإنسانية، ويهذب أخلاقًا وسلوكيات ابتعدت عن الجوانب الإيمانية، وقد صور جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) حال تلك النفوس قبل أن يهذبها القرآن فقال: " كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ)، فكان خطاب القرآن الكريم لهم سببًا في إيقاظ ضمائرهم، وإحياء قلوبهم ، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى : {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا}، وقوله سبحانه:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ..}.

كما أن المتتبع لآيات القرآن الكريم يرى كيف أرسى الخطاب القرآني البناء الأخلاقي في حياة الأفراد والمجتمعات، من خلال تقوية الجوانب الإيمانية، وترسيخ القيم الإنسانية، فقد اهتم القرآن الكريم ببناء شخصية الإنسان، وتقوية الجوانب الإيمانية التي تقوم على الصدق، والأمانة والرحمة والعدل واحترام الآخر، والإيمان

بسنن الله الكونية في الاختلاف والتنوع، وإهلاك الظالمين، وتمكين الصالحين، إلى غير ذلك من القيم الإيمانية والإنسانية التي أمر بها القرآن الكريم، وعلى رأس هذه القيم التي حرص القرآن الكريم على ترسيخها في نفوس أتباعه؛ قيمة الرحمة، فالمسلم حينما يتلو كتاب الله يبدأ تلاوته بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فيستشعر أن رحمة الله صفة من صفات الذات العلية، بها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، وبها هداية الخلق، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رَزَقهم وعافاهم، وهي أخص صفات النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، التي وصفه القرآن الكريم بها في العديد من آياته، فقد كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رحمة تمشي على الأرض، قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}، وقد بين الحق تبارك وتعالى أن الرحمة تؤدي إلى لين القلب، وتؤلف بين النفوس والأرواح، فقال تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}، وبيّن القرآن الكريم أيضًا أن المؤمن ينبغي أن يطلب رحمة الله دائمًا، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وبيّن أن أبناء المجتمع لابد أن يتعاملوا فيما بينهم بالرحمة، فقال تعالى: {ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}.

ومن الجوانب الإيمانية التي رسخها القرآن الكريم في النفوس البشرية، قيمة الصدق، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، والصدق يكون مع الله بإخلاص الإيمان به، والطاعة والعبادة لله، ويكون مع النفس بإلزامها طريق الفلاح والنجاح ، ويكون مع الآخرين بترك غشهم، والتدليس عليهم، وخيانتهم...إلخ، وبذلك تستقيم الحياة؛ ويتماسك المجتمع، وتقوى الروابط بين

الناس، وتنصلح العلاقات ،ولقد بيّن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن الكذب وهو نقيض الصدق، يؤدي إلى الخروج من طاعة الله، وأنه ينافي الإيمان، وأن مصير المتخلق به النار والعياذ بالله، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)؛ لذا كان الكذب أبغض شيء لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (مَا كَانَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْكَذِبِ وَمَا جَرَّبَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ أَحَدٍ وَإِنْ قَلَّ فَيُخْرِجَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يُجَدِّدَ لَهُ تَوْبَةً)، ولله درّ القائل:

الصِّدْقُ أَوْلَى مَا بِهِ ... دَانَ امْرُؤٌ فَاجْعَلْهُ دِينًا

وَدَعِ النِّفَاقَ فَمَا رَأَيْ ... تُ مُنَافِقًا إِلَّا مَهِينًا

إن المتدبر لكتاب الله تعالى المتعمق في ثنايا النصوص، السابح في فضاء الآيات يستخرج الكثير من الجوانب الإيمانية، والقيم الإنسانية التي يصلُح بها حال البشرية ويستقيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخوة الإسلام:

(٥)

لقد دعا القرآن الكريم إلى ترسيخ القيم الإنسانية التي لا يختلف عليها البشر مهما اختلفت عقائدهم وتباينت أفهامهم، وغاية القرآن من ترسيخ هذه القيم الإنسانية والدعوة إليها هي سعادة الفرد والجماعة من خلال تعاليمه وتشريعاته، ومن هذه القيم الإنسانية التعايش السلمي بين كافة أفراد المجتمع والوطن الواحد بغض النظر عن معتقداتهم، واختلاف ألوانهم، وأجناسهم، وثقافتهم، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ *إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}،ويقول سبحانه : " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} ،فالعالم بأسره في ظل التقدم التكنولوجي، والمعرفي الهائل أصبح قرية صغيرة، لا غنى لأهلها عن بعضهم، وبدون هذا العيش المشترك لا تستقيم عمارة الأرض، ولا يتحقق التقدم والرخاء، وبدونه لا يأمن الناس على أرواحهم، ولا على أموالهم، ولا أعراضهم، وبدونه لا يستطيعون حتى التعبد في محاريبهم.

وهذا ما رسخه القرآن الكريم في آياته، قال تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، وقال تعالى:{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}.

وتتجلى صورة التعايش السلمي المشترك مع الآخر في قوله تعالى:{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ}.

ومن القيم الإنسانية التي رسخها القرآن الكريم نبذ العنصرية، فالبشرية مردها إلى أصلٍ واحد، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، ولا فرق بين عربي وعجمي، وأحمر وأسود إلا بالتقوى، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

ومن القيم الإنسانية التي رسخها القرآن الكريم، العدل ، والإنصاف للآخرين، لا فرق بين مسلم وغير مسلم، أو غني وفقير، أو قريب وبعيد، أو حاكم ومحكوم، أو لونٍ ولونٍ، قال تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}، وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}، وقال تعالى:{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، أي: لا يحملنّكم كراهية قوم وبغضهم على عدم التعامل بالعدل معهم.

لقد دعا القرآن الكريم البشرية إلى قيم إنسانية عالمية ليست نابعة عن هوى، أو تعصب، أو أنانية، بل هي أنوار ربانية تصل بالبشرية- إن هي تمسكت بها وجسدتها واقعًا ملموسًا- إلى أعلى درجات الإنسانية.

فاللهم ارزقنا فهم كتابك وتدبر آياتك ،

(٧)

والعمل بها على الوجه الذي يرضيك عنا